الفصل السابع: السّلام في الأديان مختلفة

لقد علّقت كلّ الأديان أهميّة كبيرة على السّلام؛ كونه يشكّل أكبر مصدر قلق للإنسان. وفي الواقع، فإنّ السّلام هو جوهـر الأديان جميعها، والسبب هو أنّه لا يمكن أبدًا تحقيق أيٍّ من أهداف الدين والوفاء بها من غير سلام. فأهداف كلّ دين، من حيث المبدأ، هي تنمية الإنسان الرّوحانيّة، وتحويل كلّ فرد إلى مواطن مسؤول. ولا يمكن لهذا النوع من التعليـم والتدريب أنْ يتمّ من غير أجواء سلميّة.

هنا، ومن غير الدخول في تفاصيل كثيـرة، أودّ أنْ أعرض بإيجاز تعاليم ديانات مختلفة في هذا الصدد. (وفي الختام، سيتمّ عرض مفهوم الإسلام للسلام على نحـو أكثر تفصيلاً؛ والسبـب هو أنّ العنف فـي وقتنا الحاضر يقترن ذكره مع ذكر دين الإسلام. ويُعتقد على نطاق واسع أنّ الإسلام يبرّر العنف، بينما ومن خلال دراستي للموضوع، فإنّ هـذا المفهوم يتعارض معَ الحقائق الفعليّة).

السّلام في الديانة اليهوديّة

يعود تاريخ اليهوديّة إلى أكثر من ثلاثة آلاف سنة. فوَفقًا للتقاليد اليهوديّة، عندما غادر الإسرائيليّون مصرَ ووصلوا إلى صحراء سيناء، فإنّ اللّه أعطاهم الوصايـا العشر الأساسيّـة لتحكم بقـاء حياتهم الاجتماعيّـة، وإحدى هذه الوصايا كانت:

«لا تقتل» (سفر الخروج، 20:13)

obeikandi.com

وصيّة الكتاب المقدس هذه تحظر أنواع العنف جميعها، سواء أفرديّة كانت أم اجتماعيّة، وسواء أموجّهًا كان العنف ضدّ مجتمع المرء نفسه أم ضدّ مجتمع آخر. ولقد كُشف الأمر مباشرة من الله لموسى عليه السّلام. وَوَفقًا للتقاليد اليهوديّة فإنّ هذه الوصيّة تدخل في حكم الأمر المطلق.

وهناك وصيّة أخرى في التوراة تستحقّ النقل هنا في هذا الصدد؛ فهي تجسّد التعليم الأخلاقيّ كما هو شائع في الأديان جميعها، رغم التعبير عنها بطرائق مختلفة. وتتلخّص هذه الوصيّة في كلمات التوراة التي جاءت على النحو الآتي:

«ما هو مكروه (أو مؤذ) لك، لا تفعله لأيّ إنسان آخر».

وفي سياق السّلام، فإنّ هذه التعاليم أساسيّة جدًّا، فمن الواضح أنّنا لن نجد أيّ شخص في هذا العالم يرغب في أنْ يكون ضحيّة للعنف؛ لأنّ العنف بغيض للجميع. وفي ضوء هذا الواقع، فمن الضروريّ أنْ يمقت الإنسان أيضًا ارتكاب أعمال العنف ضدّ الآخرين، ويجب عليه ألا ينغمس في نشاطات العنف ضدّ الآخرين تحت أيّ ظرف من الظروف. وممّا لا شكّ فيه أنّ هذه النصيحة عامّة في تطبيقها؛ فهي ليست موجّهة إلى فرد حَسْبُ، بل أيضًا إلى المجتمع ككلّ. وبالتأكيد، كما تمّ وضع معيار للسلوك الفرديّ، فبالمثل تمّ وضع معيار للسلوك الاجتماعيّ أيضًا.

وبالرّجوع إلى الآية سالفة الذكر من التوراة، فقد قال باحث يهوديّ، وعلى نحو صحيح:

«هذه هي التوراة كاملة، والباقي ما هو إلا تعليق».

وفي التـوراة، فإنّ أشعيـا، وهو نبيّ من بنـي إسرائيل، يصـف عالمًا من العدالة، في هذا العالم المرغوب فيه بشدّة، «يجب على الناس تحويل سيوفهم إلى محاريثَ ورماحهم إلى مناجل قطاف. ولا يحقّ لأمة أنْ ترفع السيف ضدّ أمّة، وعليهم ألا يتعلّموا الحرب أكثر من ذلك» (إشعياء 2:4).

تبيّن هذه الآية من التوراة أنّه وَوَفقًا للديانة اليهوديّة، فإنّ المجتمع الإنسانيّ الأمثل هو المجتمع الذي يدمّر فيه الناس أسلحتهم؛ حيث لا مجال للحرب، وحيث يتمّ بناء الحياة على أساس من السّلام لا العنف.

وتفسّر هذه الآية من التوراة من قبل باحث يهوديّ كالآتي:

«لا يكفي أنْ نأخذ في الاعتبار هذه الموعظة السلبيّة بعدم القتل، ولكنْ بترجمة الطاقة البشريّة والجهود المبذولة إلى أفعال سلميّة وبنّاءة».

وبالمثل، فإنّ هناك آية أخرى من التوراة تستحق الذكر؛ فهي تصف وصايا اللّه المباركة:

«على الذئب والحَمل أنْ يرعَيا معًا، وعلى الأسد أنْ يأكل التبن كالثور، والغبار يجب أنْ يكون غذاء الثعبان. ولا يجوز لهم أنْ يؤذوا أو يفسدوا في كامل جبلي المقدس»، يقول الرّبّ. (أشعياء، 65:25)

يخبرنا هذا الاقتباس بلغة رمزيّة كيف يكون المجتمع المرغوب فيه من اللّه. إنّه مجتمع حيث يعيش الضعفاء والأقويـاء جنبًا إلى جنب من غير الإضرار بمصالح بعضها بعضًا، وحيث يتمتّع الإنسان بالحقوق نفسها التي يتمتّع فيها كبار الشخصيّات المهمّة. إنّـه مجتمع يمكن للناس العيش فيه بسلام من غير الخوف من أذى غيرهم؛ حيث يجد الناس السلم في الآخرين لا العنف.

السّلام فى الديانة المسيحيّة

ولد يسوع المسيح منذ 2000 عام في القدس (فلسطين). وأتباعه اليوم هم أكثر من أتباع أيّ دين آخر.

إنّ تعاليم يسوع المسيح منصوص عليها في **العهد الجديد**. وهي تشير إلى أنّ يسوع المسيح قد ركّز كثيرًا على عبادة الله، وحُبّ البشر، وخدمة الإنسانيّة، والتنمية الرّوحانيّة، والترفّع عن الماديّة، ومعاملة الآخرين بالحسنى، حتى لو لم يستجيبوا. وهكذا، فكلّ هذه الفضائل التي لا ترتبط بأيّة طريقة بالحرب والعنف تنبع من حيازة مجموعة قيم عليا.

ويمكن تأسيس كلّ هذه القيم في المجتمع عن طريق الإقناع، وليس عن طريق الإكراه.

إنّ تعاليم المسيح في **العهد الجديد** تخبرنا بوضوح أنّ السّلام كان مهمًّا بالنسبة إليه، لدرجة أنّه استمتع بإحلال السّلام وبأيّ ثمن. وفي إحدى خطبه، قال السيّد المسيح:

«طُوبَى لِصَانِعِي السَّلامِ، لأَنَّهُمْ أَبْنَاءَ اللَّهِ يُدْعَوْنَ». (5:9)

وهذا يدلّ، وَفقًا لتعاليم السيّد المسيح، على أنّ المهمة الأكثر مباركة هي في إحلال السّلام في العالم، والسّلام في حياة الأسرة، والسّلام في الحياة الاجتماعيّة، والسّلام في الحياة الوطنيّة، والسّلام في الحياة الدوليّة. ولعلّ قول يسوع المسيح هذا هو ربّما تحقيق لهذا العالم السلميّ:

«ليأتِ ملكوتُكَ، لتَكُنْ مَشيئَتُكَ كما في السماءِ كذلكَ علَى الأرضِ»(6:9) .

في هذا الاقتباس من **العهد الجديد** ، ما سمّي بملكوت اللّه، يمكن التفكير فيه أيضًا كملكوت السّلام.

إنّ تعاليم السيّد المسيح تولي أهميّة كبيرة للمحبّة وحسن السلوك، وقد أعرب عن هذا في واحد من أقواله في الكتاب المقدس:

«لكنّي أقول لكم أيُّها السَّامعون: أحبُّوا أعداءكم، أحسِنوا إلى مُبغضِيكم». (6:27)

وهذا يعني أنّه يجب أنْ تحبّ الجميع، حتى الأعداء، كما يجب أنْ تتّخذ موقفًا سلميًّا نحو الجميع، حتى معَ أولئك الذين اختاروا الإيذاء الجسديّ. إنّه هذا السلوك الجيّد أحاديّ الجانب الذي أعرب عنه برمزيّة:

«مَن لطمك على هذا الخدّ فاترك له الآخر، ومَنْ أخذ رداءك فلا تمنعه أن يأخذ قميصك أيضًا. وكلُّ مَنْ سألك فأعطِه، ومَنْ أخذ ما لكَ فلا تُطالِبه به». (6:29-30)

وهذا ليس تشجيعًا على أنْ تكون سلبيًّا. إنّه، وبلغة رمزيّة، درسًا في الأخلاق أحاديّة الجانب. إنّ هذه التعاليم يمكن التعبير عنها كالآتي: أحلل السّلام بأيّ ثمن، لا تقابل العنف بالعنف. فبدلاً من ذلك، قابل العنف بممارسة التمرين أحاديّ الجانب في الصّبر، وتجنّب الصراع، حتى لا تعكّر صفو السّلام.

السّلام في الديانة الهندوسيّة

تستند الهندوسيّة على مبدأ اللاثنائيّة، ومعنى هذا أنّه وفي هذا العالم، فإنّ الخالق والخلق ليسا كيانين مختلفين، بل هما بالأحرى الحقيقة نفسها

تتجلّى في أشياءَ مختلفة وكائنات مختلفة في هذا العالم. وَوَفقًا لهذا المبدأ، فإنّ الإنسان وأخاه الإنسان هم وحدة واحدة متشابهة، فليس هناك فرق بين الواحد والآخر.

وهذا المفهوم يعطي إحساسًا بشعور المشاركة للكائنات الحيّة جميعها، كما ينفي مبدأ الآخر. وفي الواقع، فإنّ شعور الآخر يختفي ببساطة. وبهذا، فإنّ ارتكاب أعمال عنف أو عدوان ضدّ الآخرين، من حيثُ المبدأ، هو كارتكابها بحقّ النفس ذاتها. إنّ هذا المفهوم، هو مصدر فكر السّلام في الهندوسيّة.

ولقد سمّاه المـؤرّخ البريطانيّ؛ أرنولد توينبي، مفهـوم السّلام «عِشْ ودع غيرك يعيش». ممّا يعني، أنّنا يجب أنْ نمنح السّلام للآخرين لنحصل عليه في المقابل منهم.

ولد ماهافير لعائلـة هندوسيّة في الهند بعد تأسيـس الهندوسيّة بـ 2500 سنة، وقد أرسى خمسة مبادئ للدين، ورغم أنّ مصطلح «نبذ العنف» ربمّا لم يكن موجودًا في ذلك الوقت في الكتب المقدسة للهندوسيّة القديمة، فإنّ أوّل هذه المبادىء وأهمّها كان (أهيمسا)، الذي يعني عدم الإصابة. فوَفقًا لهذا المبدأ، فإنّ العنف والعدوان من أيّ نوع هو أمر خطأ تمامًا. ويمكن تلخيص اعتقاد جين في هذه الكلمات: قتل كلّ ذي إحساس خطيئة.

إنّ الزعماء الرّوحيين الهندوس قد قبلوا (ماهافير) كآلهة الفلسفة الرابعة والعشرين. وبهـذه الطريقة، فإنّ مفهوم أهيمسا قـد أصبح أيضًا جزءًا من الهندوسيّة. وفي القرن العشرين أيضًا، فقد كان هناك المثال الآخرُ الكبير، وهو المهاتما غانـدي، المصلح الهندوسيّ ذو السمعـة العالميّة، الذي فسّر

كلمات (باغواد غيتا) في ضوء مبدأ عدم اللجـوء إلى العنف، وأطلق حركة حريّة ملتزمة تمامًا بهذا المبدأ.

وقد وضّحت موسوعة بريتانيكا (1984) الدرجـة التي كان فيها المهاتما غاندي من دعاة السّـلام: «لقد كان غاندي أول من فسّـر أهيمسا على نحو إيجابيّ تحت مظلّة الالتزام الاجتماعيّ». (847/13)

التسامح كواحدة من القواعد الأساسيّة في الديانة الهندوسيّة

إنّ مفهوم التسامح هذا يصل إلى الحدّ النهائيّ لتشجيع الاعتقاد بحقيقة الأديان جميعها. وَفقًا لغيتا ، فإنّ كلّ مسـار دينيّ يؤدّي نحو الوجهة نفسها: الحقيقة. فعندما قـال سوامي فيفكانادا، «كلّ ديـن صحيح»، فقد كرّر بهذا الاعتقاد الهندوسيّ وعلى نحو صحيح. ففي الهندوسيّة يمكن إعطاء كلّ تقليد دينيّ اعترافًا متساويًّا.

وقد أوردت موسوعة بريتانيكا تحت عنوان «الهندوسيّة»:

«إنّ الهندوسيّة تتضمّن أشكال الاعتقاد والعبادة جميعها من حيثُ المبدأ، من غير استلزام انتقاء أيّ منها أو استبعاده» (888/8)

وبعبارة أخرى، فإنّ هذا المفهوم العامّ للتسامح يرشدنا إلى كيفيّة العيش في سلام معَ الآخرين، وينبغي علينا ألا نتبنّى العنف تجاه أيّ شخص آخر.

وكما نَعُدّ أنفسنا على حقّ، فعلينا بالمقابل أنْ نَعُدّ الآخرين على حقّ أيضًا.

ومن حيثُ المبدأ، فإنّ اللجوء إلى العنف تجاه أيّة مجموعة بشريّة يُعَدّ غير قانونيّ.

السّلام في الديانة البوذيّة

تعدّ البوذيّة دين إلحاد، على خلاف الديانات الأخرى؛ فهي لا تغذّي الاعتقاد بوجود خالق كمفهوم مركزيّ. وبدلاً من ذلك، فإنّ النظام البوذيّ يرتكز على مجموعة من المبادئ الأخلاقيّة. ويمكن تسمية الأسس البوذيّة فلسفةً أخلاقيّة، أو طريقة أخلاقيّة للحياة.

لم يُصادَق تاريخيًّا على توثيق حياة بوذا غوتام (سيدارت غوتام)، مؤسّس البوذيّة، ولكن يعتقد أنّه ولد في شمال الهند في عام 560 قبل الميلاد. فعندما بلغ سنّ الرشد، رأى بعض مشاهد البؤس البشريّ. وبما أنّه كان شخصًا حسّاسًا، فقد بدأ يتأمّل في أسباب الألم والمعاناة، وكرّس بعدها نفسه بهدف إنهاء الألم والمعاناة في الحياة البشريّة.

وبعد مدّة طويلة من التأمّل والتفكير العميق، صاغ بعض المبادئ الأخلاقيّة.

وبما أنّ هدفه الرئيس في الحياة كان في إنهاء البؤس البشريّ، فقد علّق أهميّة قصوى على حقيقة أنّه ينبغي على الإنسان أنْ يحرّر نفسه من كلّ أنواع الرّغبات؛ لأن هذه الرّغبات هي التي تقود الإنسان إلى أنواع الشرور جميعها، بما في ذلك العنف. وقد كانت المبادئ التي وضعها لتحكم حياة الإنسان كما يأتي:

على الإنسان أنْ يتخلّى عن كلّ الرغبات، وأفكار الشهوة جميعها، والمرارة،

والقسوة. وعليه ألا يضرّ كائنًا آخرَ، كما يجب عليه أيضًا أنْ يمتنع عن كلّ أعمال القتل. ولا بدّ أن يتولّى الإنسان منصبًا لينفع الآخرين ويدرأ الضرر عنهم.

فمن حيثُ المبـدأ، ليس هناك أيّ مـكان للعنف في البوذيّـة، ولأنّ هدف البوذيّة في الأساس هو في إصـلاح الشخصيّة، فإنّ هذا لا يمكن أنْ يتحقّق إلا من خلال السعي بجد ضدّ رغبات النفس، بدلاً من ارتكاب العدوان ضدّ الآخرين. وسيكون من الصحيح القول إنّ العنف شيء غريب على المخطط البوذيّ. وفكريًّا، فإنّه لا علاقة مباشرة للبوذيّة بالعنف.

obeikandl.com